الباب الثانى

١ – الإسلام قوة صامدة وعلم راسخ .

٢ – من دلالات النبوة عند خاتم الرسل والأنبياء .

٣ – المعجزة القولية للنبى ﷺ .

٤ – شريعة الإسلام صلاحيتها للتطبيق على مر الزمان .

٥ – الإسلام ونبيه ﷺ فى نظر المنصفين من علماء الغرب .

الإسلام قوة صامدة وعلم راسخ

أتت هدايات الإسلام من لدن رب العالمين متسمة بالشمول والإحاطة ، وإذا كانت أصول هذا الدين هى التى بلغها جميع الأنبياء السابقين إلى أممهم فإن تلك الأصول مع التشريع الذى نزل معها من السماء على النبى الخاتم محمد ﷺ هى التى قدر الله جل وعلا أن تصحب سير الإنسان فى الأرض آخر الدهر وأن تنتظم شمل البشر فى القارات الخمس قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَه إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1] ويقول جل شأنه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً للناسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[2] ويقول سبحانه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين ﴾[3] .

وعندما ينعم المرء النظر فى أحداث التاريخ يروعه مقدار ما يترك السابقون للاحقين ، فقد استشهد رجال الإسلام الأوائل فى سبيل نشر الدعوة إلى الله ومحاربة الفتنة ، وأحاطوا غرس الإيمان فى هذه الدنيا بسياج متين من جهادهم ، وجاء أحفادهم وذرياتهم فورثوا الإيمان سهلاً لا ينغصه اضطهاد ولا يطارده إلحاد ، فاستكانوا لذلك وضعفوا مما مكن أعداء الإسلام من بلاد المسلمين فلم تبق منها واحدة تنعم بقسط من حرية الحكم والسيادة

(١) سورة الأنبياء : ٢٥ .

(٢) سورة سبأ : ٢٨ .

(٣) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

والاستقلال خصوصًا فى القرن التاسع عشر حتى النصف الأول من القرن العشرين .

ولقد خيل إلى الناظرين فى ذلك الوقت أن الحاضر والمستقبل جميعًا كانا لأعداء الإسلام فقد جمعوا القوة والعلم والحضارة الحديثة فلا نجاة من قبضتهم للذين حرموا القوة والعلم والحضارة وأصبحوا فى كل منها عالة على المستعمرين .

تراجع الاستعمار وظهور الدول الإسلامية من جديد :

لكن برغم استحواذ الاستعمار على سلطان المال والعلم والسلاح ، فإنه منذ النصف الثانى من القرن العشرين بدأ فى الانحسار وبرزت على الساحة العالمية دول إسلامية لها شأنها وسياستها واستقلالها فى كل من قارة آسيا وأفريقيا .

وهذه الدول الإسلامية لا ينظر المؤرخ الباحث فى أطوارها على تعدد ظواهرها وأدوارها إلا وجب عليه أن يفترض لها سرا عجيبًا ، كذلك السر العجيب فى صدر الإسلام وهو سر الغلبة من حيث لا تنتظر الغلبة على دولتى العالم فى ذلك الوقت ، دولة الفرس ودولة الروم فى خمس سنوات .

السر العجيب فى وقتنا الحاضر هو فى قوة صمود الإسلام :

قوة (الصمود) فى الإسلام فى زماننا المعاصر هى من العجب بمكان مثلها مثل قوة (غلبة) الإسلام عندما أشرقت على العالم شمسه وأنواره ، بل إن قوة الصمود أعجب من قوة الغلبة لأنها تملك الدفاع ولا مال لديها ولا سلاح ولا اتفاق بينها على الدفاع ، ذلك أن قوة العقيدة قد سرت مسراها فى أرجاء العالم بمعزل عن حروب الدول وسياساتها وعن عروش العواهل وتيجانها .

تفسير ظاهرة الصمود فى عقيدة الإسلام :

هذا الصمود فى عقيدة الإسلام يفسره أنه عقيدة شاملة ، فهو يخاطب العقل ولا يقصر خطابه على الضمير والوجدان ، وهو بذلك حقق الصفة الكبرى للعقيدة الدينية على أتم شروطها من الشمول الذى يحيط بالإرادة والشعور والظاهر والباطن ، ولا يسمح لجانب من النفس أن يخلو منه ، فالإسلام بهذا الشمول يمثل العقيدة المثلى للإنسان منفردًا ومجتمعًا وعاملاً لروحه وجسده وناظرًا إلى دنياه كما هو ناظر إلى آخرته .

قال تعالى : ﴿إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾[1] ويقول سبحانه : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾[2] ويقول جل وعلا : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لله مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[3] .

فشمول العقيدة فى ظواهرها الفردية وظواهرها الاجتماعية هو المزية الخاصة فى العقيدة الإسلامية وهو المزية التى توحى إلى الإنسان أنه كل شامل فيستريح من فصام العقائد التى تشطر السريرة شطرين ثم يَعْيَا فى الجمع بينهما .

كيف يمكن إدراك شمول العقيدة الإسلامية :

يمكن إدراك شمول عقيدة الإسلام من مراقبة أحوال المسلم فى معيشته وعبادته فهو مستقل بعبادته عن الهيكل والصنم والأيقونة والوثن ، ذلك

---

(١) سورة الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣ .

(٢) سورة القصص : ٧٧ .

(٣) سورة سبأ : ٤٦ .

أن الإسلام عند ظهوره فى القرن السابع للميلاذ وقت أن نادى رسول الله ﷺ بكلمة التوحيد الخالدة (لا إله إلا الله) واجه دولة الكهانة والمراسم من الوثنيين وغيرهم بعلاقة أتباعه المباشرة بالله .

١ – ففى عقيدته :

لا تتوقف نجاة المسلم على مشيئة أحد من الكهان ، فهو من جمهور المسلمين ما دام قد شهد بين نفسه وبين الله خالقه بأن الله واحد أحد لا شريك له وبالرسالة والنبوة لرسول الإسلام محمد ﷺ ، دون أن تكون عينا قلبه مشدودتين بشفتى حبر أو كاهن ودون أن يغالى فى شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام فهو يقدر رسول الله – ﷺ –حق قدره . قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[1] وقال جل وعلا ﴿يَأَيُّها النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾[2] والأمر كذلك فى سائر العبادات تؤدى مرفوعة إلى الله وحده لا شريك له .

ومن عناصر شمول العقيدة الإسلامية أيضًا :

١ – أنها تشمل الأمم الإنسانية جميعًا فليس الإسلام دين أمة واحدة ولا هو دين طبقة معينة وليس هو للسادة المسلطين دون الضعفاء المسخرين ، ولا هو للضعفاء المسخرين دون السادة المسلطين ولكنه رسالة تشمل بنى الإنسان من كل جنس وملة وقبيل ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا

(١) الكهف : ١١٠ .

(٢) النساء : ١٧٠ .

كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1] وقال جل وعلا : ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[2] .

٢ ـ لا يختص الإسلام بنعمة هدايته أمة من الأمم لأنها من سلالة ممتازة بل هو لسائر السلالات والأمم قال الله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3] . وقال جل وعلا : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[4] .

٣ ـ وفي الإسلام يتفاوت الناس في درجاتهم بالعلم والعمل قال الله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[5] ، ويقول جل وعلا ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[6] ، وقال أيضًا : ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[7] .

---

(١) سورة سبأ : ٢٨ .
(٢) سورة الأعراف : ١٥٨ .
(٣) سورة الحجرات : ١٣ .
(٤) سورة الأنبياء : ١٠٧ .
(٥) سورة الزمر : ٩ .
(٦) سورة المجادلة : ١١ .
(٧) سورة النساء : ٩٥ .

ولكن هل تترك القوى المعادية للإسلام المسلمين وشأنهم بعد قيام دولهم ؟

كلا !

ذلك أنه منذ قامت الدول الإسلامية المستقلة وبرزت على المسرح الدولى خططت القوى المعادية للإسلام بخبث ودهاء للقضاء عليه والخلاص منه حتى تطيح بالمسلمين وبرسالتهم فى مهاوى العدم وجاشت أمانيها الخبيثة تنشد الويل والدمار لقضايا المسلمين الفكرية والاجتماعية ومن أمثلة ذلك :

١ - أنه عندما حددت للدويلات الإسلامية مسارها قامت تلك القوى فبدأت بأن حذفت الولاء للإسلام من بنائها التربوى والخلقى وسلوكها العام ، فأضحى الولاء للأرض والجنس فقط ، وارتفعت أعلام القوميات الضيقة فى أغلب الأقطار الإسلامية دون أن يسمح للإسلام أن يكون جزءا من مفهوم تلك القوميات ، فجهل أبناء الإسلام بعضهم بعضًا وانقطع كل مسلم عن أخيه المسلم فى دولة أخرى ، وعامله على أنه رعية دولة أجنبية لا رابطة بينها وبينه ، ولا شعور بالتضامن الإسلامى فيما بينهما .

٢ - إذا سمح للإسلام بوجود فبوجود ضعيف فى بعض الأنحاء ، وجود محروم من أسباب النماء والتأثير على حين سخرت عناصر كثيرة لجعل الولاء القومى يتحرك ويتطور ، وبمرور الأيام أخذ الإسلام فى ميدان التربية والسلوك والأخلاق يتراجع وينكمش وأخذت مفاهيم الاستعمار العالمى تملأ الفراغ المتخلف فى تلك الميادين ، فتكونت أجيال مستوحشة عن دينها أو منكرة له متمردة عليه لا تحمل منه سوى الأسماء الإسلامية وانتشرت

بينهم المذاهب الفلسفية والاجتماعية الوضعية التى يدين بها الشرق الشيوعى أو الغرب الصليبى[1] .

٣ - إن الولاء للإسلام هو حق أمته الكبرى ، وما من شك أن الإسلام فوق القوميات ، ولا قيمة للقوميات بدونه ، فالولاء للإسلام هو حق أمته الكبرى ، وتطبيق شريعته حق لكل مسلم فيها ومما يؤسف له أن ينقاد أعلام من المسلمين المعاصرين لمعتنقات يبرأ منها الإسلام .

٤ - كذلك بذل أعداء الإسلام جهدهم بعد سيطرتهم أو سيطرة أذنابهم على مقدرات المسلمين فى تقطيع حقيقته العلمية وإبعادها عن أذهان أبنائه .

٥ - ومما أعجز الإسلام عن الحركة الصحيحة أو كاد إضعاف مؤسساته العلمية والمالية وإعلان الحرب الخفية والعلنية على ما حبسه أثرياء المسلمين عليها فى شتى العصور من أوقاف خيرية للمؤسسات العلمية وطلبة العلم .. مما أضعف هذه النهضة وذوى بأهلها .

٦ - ثم شرعت تلك القوى المعادية للإسلام فى تحريك الأقليات الصغيرة فى العالم الإسلامى وتملى لها فى أسباب الدعوى والاغترار وتغريها بالتمرد والانتقاض وتهمس فى ترويج الأكاذيب ضد المسلمين ، ومضايقة المسئولين بشئون مختلفة أو مطالب ليست من حقها فى شىء مع أن هذه الطوائف كانت ولاتزال أسعد الأقليات فى هذا العالم واستمتاع أهلها بالحقوق المادية والأدبية التى يتمتع بها المسلمون ليست موضع ريبة .

---

(١) كتاب (الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر) تأليف الشيخ محمد الغزالى طبعة سنة ١٤٠٥ هـ - سنة ١٩٨٥ م تنشره مكتبة وهبة بعابدين بالقاهرة .

٧ - ثم كان إقحام (إسرائيل) فى الجسد الإسلامى تقسيما لشطريه وإحياء لولاء اليهودية على مافيها من عنصرية وعداء لغيرها ، فى نفس الوقت الذى عمل فيه على قهر الولاء للإسلام الذى يحرم العصبية والتفرقة العنصرية .

وبعـد :

فإن الذى لامراء فيه أن الإسلام كافح القوى المعادية له وهو أعزل فى نفوس المسلمين ، لأن عنصر القوة كامن فى طبيعته ، كامن فى بساطته ووضوحه وشموله وملاءمته للفطرة البشرية وتلبيته لحاجاتها الحقيقية ، كامن فى الاستعلاء عن العبودية للبشر بالعبودية لله رب البشر ، وفى رفض التلقى إلا منه ورفض الخضوع إلا له من دون العالمين ، كامن كذلك فى الاستعلاء بأهله على الملابسات العارضة كما حدث للمسلمين عند خضوع دولهم تجاه سلطان المستعمرين والمتسلطين فهذا السلطان ظل خارج نطاق الضمير مهما اشتدت وطأته ومن ثم لم تقع الهزيمة الروحية على المسلمين طالما عمر الإسلام القلب والضمير وإن وقعت الهزيمة الظاهرية فى بعض الأحيان .

وبرغم هذا كله :

فإن الذى لامراء فيه أن المستقبل للإسلام لأن دوره المرتقب فى إصلاح البشرية لا تملك عقيدة أخرى كما لا يملك منهج آخر أن يؤديه .

١ - فهو القادر على إنقاذ البشرية بما يملكه من طاقات روحية قادرة على تخليصها من أخطار حضارة الغرب المناقضة لفطرتها .

٢ - وهو القادر على منحها المنهج الملائم لفطرتها وفقًا لاحتياجاتها الحقيقية .

٣ - وهو وحده الذى يملك أن يقيم لها نظامًا واقعيا للحياة ينسق لها فيه ما تحتاجه من خطى الإبداع المادى ، وخطاها فى الاستشراف الروحى الذى لم تعرفه البشرية فى تاريخها الطويل إلا فى النظام الإسلامى .

ولا أدل على ذلك من الاستشهاد بذكر جزئية صغيرة من هذا المنهج الربانى الكامل ، ذلك أن أحدث النظريات التى ينتهى إليها فقه القانون الغربى الحديث فى كل فروعه ، وكان للوصول إليها دوىٌّ كبير بدعوى أنها ابتكار فى العلم ليس له نظير ، ولم يكن ابتكارًا فى شىء راسخ فيما قرره الإسلام ، مثال ذلك فى القانون المدنى نظرية التعسف فى استعمال الحق – فهى تطبيق للحديث النبوى الشريف (لا ضرر ولاضرار)[1] .

وقد سبق أن كتب المرحوم المستشار الدكتور عبد السلام ذهنى فى الجريدة القضائية سنة ١٩٣٧ م مقالاً تحت عنوان (تجميع القوانين والشريعة الإسلامية) ورد فيه قوله (لما كنت بمدينة ليون بفرنسا بقسم الدكتوراه من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٢٠ كان أستاذنا مسيو لامبير Lambert يرى الفقه الإسلامى فى المعاملات كنزًا لا يفنى ومعينا لا ينضب وكان يشير على الطلبة المصريين بالرجوع إليه لوضع رسائلهم فى الدكتوراه فى مواضيع عن الشريعة الإسلامية وفعلاً وضع المرحوم الدكتور محمد فتحى رسالته للدكتوراه عن مذهب الاعتساف (أى التعسف) فى استعمال الحق ، والخروج عما شرع له عند فقهاء الإسلام ، وما كادت

(١) رواه ابن ماجه والدارقطنى وغيرهما مسندًا ورواه مالك فى الموطأ مرسلا هذا ما أورده الإمام محيى الدين النووى فى متن الأربعين حديثا النووية وقال حديث حسن .

الرسالة تطبع فى كتاب حتى نفدت فى ستة أشهر وكتبت عنها المجلات القانونية فى أوروبا كثيرًا وأشادت بعظمة التشريع الإسلامى[1] .

ومما كتبه الفقيه الألمانى (كوهلر) فى مقال له (إن الألمان كانوا يتيهون عجبًا على غيرهم لخلقهم (نظرية الاعتساف فى استعمال الحق) وإدخالها ضمن التشريع القانونى المدنى الألمانى الذى وضع سنة ١٩٠٧ ، وقد ظهر كتاب الدكتور محمد فتحى وأفاض فى شرح هذه النظرية نقلاً عن رجال الفقه الإسلامى لذلك فإنه يجدر بعلماء القانون الألمان أن يتنازلوا عن المجد الذى نسبوه لأنفسهم ويعترفوا بالفضل لأهله وهم فقهاء الإسلام الذين عرفوا هذه النظرية وأفاضوا فى الكلام عنها قبل الألمان بعشرة قرون)[2] .

وليس لنا من تعليق على ذلك إلا أن نردد قول الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[3] .

---

(١) كتاب تأملات فى الشريعة الإسلامية تأليف المستشار محمود الشربينى نائب رئيس مجلس الدولة طبعة سنة ١٩٨٧ م الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة فصلت : ٥٣ .

من دلالات النبوة
عند خاتم الرسل والأنبياء

كان اصطفاء الله لمحمد ﷺ رسولاً إلى الناس كافة من العرب ختامًا لرسالات السماء إلى الأرض مفاجأة كبيرة خصوصًا لأهل الكتاب ، لم تلبث روعتها أن تكشفت عنه ، ثم ثبت الكاهل الجلد لما ألقى عليه ، ومضى على النهج القويم مسددًا مؤيدًا ، ينزل عليه الوحى من السماء ثلاثًا وعشرين سنة ، كانت الآيات تنزل خلالها حسب الحوادث والأحوال ، قال الله تعالى : ﴿ قل يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رسول اللَّهِ إليكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ فَآمِنُوا باللَّهِ ورَسُولِه النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] كما خاطب جل وعلا أهل الكتاب بشىء من التلطف للإيمان به ﷺ بعد أن بشرت كتبهم به وأخبرتهم عنه كذلك أنبياؤهم فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رسُولُنَا يُبَيِّنُ لكُمْ عَلَى فَتْرة منَ الرُّسلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شىءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] وأشار القرآن الكريم إلى فلاح من استجاب إلى دعوة الإسلام ، وانتظم فى صفوف المسلمين فقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) سورة المائدة : ١٩ .

مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِم ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] .

البشارات فى كتاب اليهود عنه ﷺ :

١ - من هذه البشارات ما جاء فى الإصحاح ١٨ عدد ١٨ وما بعده من سفر التثنية . قوله المنسوب إلى الله تعالى إلى نبيه موسى عليه السلام (أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ، وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلامًا لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى) .

فمن وسط إخوتهم يعنى بنى إسماعيل أخى جدهم إسحق وهما من أولاد إبرهيم عليه السلام ، ومن لم يستمع ويجب دعوة هذا النبى فإن الله يحاسبه ويعاقبه ، وأما من ادعى النبوة كذبا فإن الله يقضى بإهلاكه ، وهذا ما حدث فعلاً بالنسبة لمسيلمة الكذاب والتى انتهت حياته بقتله على يد خالد بن الوليد وجيوش المسلمين فى حروب الردة .

٢ - ومن ذلك ما جاء فى الإصحاح ٣٣ عدد ٢ من سفر التثنية عن وصية موسى عليه السلام حين وفاته وهى آخر وصاياه فقال : (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم) ففى هذه الوصية يذكر موسى عليه السلام إلى

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ .

بنى إسرائيل أن شريعته جاءت بوحى الله فى سيناء وسيشرق عليهم الوحى من جبل ساعير فى فلسطين وهى موطن وموضع رسالة المسيح عليه السلام ، فلم يبق إلا أن يستعلن من جبل فاران والمراد به مكة المكرمة موطن خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ وفى بعض الترجمات القديمة لهذا النص عبارة (ومعه ألوف الأطهار)[1] وهم الصحابة فهم خواص الأطهار فيما أشارت إليه سورة الفتح فى قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾[2] .

البشارات فى كتب النصارى عنه ﷺ :

١ - من ذلك شهادة يوحنا المعمدان بن زكريا عليهما السلام فى قوله : (وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت فاعترف ولم ينكر وأقر أنى لست أنا المسيح فسألوه إذًا ماذا، إيليا أنت ؟ فقال لست أنا ، النبى أنت ؟ فأجاب لا) انظر انجيل يوحنا الإصحاح الأول عدد ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ فهذه الشهادة من النبى يحيى عليه السلام تفيد أن شعوب اليهودية كانت فى انتظار المسيح وإيليا ونبى آخر ، وسواء كان النبى يحيى هو إيليا أم غيره ، المهم أنهم كانوا فى انتظار المسيح ونبى آخر ولقد جاء السيد المسيح فلم يبق إلا بعثة النبى الآخر الذى ينتظره الكل وهو خلاف المسيح وخلاف النبى يحيى عليهما السلام .

---

(١) كتاب إظهار الحق للإمام الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى باب البشارات صفحة ١٩٣ من الجزء الثانى طبعة سنة ١٣١٧هـ .

(٢) سورة الفتح جزء من الآية ٢٩ .

٢ - ومنها قوله المنسوب إلى المسيح عليه السلام فى إنجيل يوحنا فى الإصحاح ١٤ عدد ١٥ وما بعده (إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ... إلخ) - وفى اللغات الأجنبية عبارة (فيعطيكم باركليتوس) ، والرسم اللغوى فى النسخة اليونانية Hepikahtoz وتعنى (أحمد التفضيل) وهو من أسماء رسول الله ﷺ[1] .

وقد حدث سلمان الفارسى أنه صحب قسيسًا فكان يقول له : (يا سلمان إن الله سوف يبعث رسولاً اسمه **أحمد** يخرج من جبال تهامة علامته أن يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وكان هذا سبب إسلامه[2] .

إنكار المستشرقين لنبوته ﷺ :

دأب كثير من المستشرقين فى زماننا المعاصر على إنكار مقام النبوة لرسول الله ﷺ فمنهم من يقول : (إن تبشير النبى العربى ليس إلا مزيجًا من معارف وآراء دينية ، عرفها أو استقاها إثر اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها ، التى تأثر بها تأثرًا عميقًا والتى رآها جديرة بأن توقظ عقيدة دينية حقيقية عند بنى وطنه) ثم يستطرد فى كلامه فيقول :

(لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرًا وصل إلى أعماق نفسه ، وأدركها بإيحاء قوته للتأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار

---

(١) كتاب خاتم المرسلين للدكتور يوسف الشال من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية .

(٢) بحث آيات النبوة المحمدية لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الحديدى المطير ، نشر فى الكتاب التذكارى للمؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية .

يعتبر هذه التعاليم وحيًا إلهيا فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحى)[1] .

ويعنى ذلك المستشرق اليهودى أن ماكان يحسه نبى الإسلام ويشاهده لم يكن وحيًا بل تخيلات من ذات نفسه انخدع بها، والحقيقة أنه لا وحى ولانبوة ولارسالة عنده وأن ما جاء به ليس من عند الله بل نقل أغلب أصوله وفروعه من الشرائع القديمة كالقانون الرومانى وشرائع الكتابيين من اليهود والنصارى.

وهذا المستشرق وأمثاله ، يرددون الإفك الذى لفظ به صعاليك الصحراء قديمًا فمن قرون طوال دب على هذه الأرض نفر من الخلق نظروا إلى صاحب الرسالة العظمى نظرة غيظ وحقد فأنكروا نبوته ورموه بالجنون ، فقالوا كما حكاه القرآن عنهم : ﴿ وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾[2] ورماه آخرون بالسحر والكذب ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[3] .

وزعم فريق آخر أنه تتلمذ على بعض أهل الكتاب من أمثال سلمان الفارسى، وقد رد عليهم القرآن فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[4] .

---

(١) كتاب العقيدة والشريعة فى الإسلام تأليف المستشرق أجناس جولد تسهير نقله إلى العربية وعلق عليه الأستاذ الدكتور محمد بن يوسف موسى وآخرون .

(٢) سورة الحجر : آية ٦ .

(٣) سورة ص : آية ٤ ، ٥ .

(٤) سورة النحل : ١٠٣ .

عقيدة الإسلام فى التوحيد عقيدة فريدة :

فهو فى عقيدته النقية بتقريره التوحيد المطلق لله سبحانه ، وعدم مساواة أى مخلوق به وتقرير صفات الجلال والجمال لذاته المقدسة ، شىء يختلف كل الاختلاف عن عقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يرون عدم الحرج فى تقرير البنوة والولادة والشركة والأوصاف البشرية التى راجت فى العهد القديم وفى العهد الجديد بالكتاب المقدس عند أهل الكتاب فى عقيدة الألوهية[1] .

الآداب والوصايا فى الوحى المكى والمدنى :

والوحى فى مكة وفى المدينة جمع كل الآداب والوصايا والمبادئ الرفيعة الموزعة فى الكتب السماوية السابقة ، وزاد عليها آدابا ووصايا ومبادئ أخرى ، احتاج إليها العالم فى تقويم فطرته ، وصيانة حياته وذلك كله إلى جانب ما صحح من عقائد واستن من شرائع ، لم تكن معروفة فى العبادات السابقة أو فى القوانين القديمة التى كانت سائدة[2] .

من أين جاء القرآن الكريم ؟

يستعرض المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز جوانب هذه القضية فيقول : هل جاء به من نفسه ومن وحى ضميره ؟ أم من عند معلم ؟ ومن هو ذلك المعلم؟

نقرأ فى هذا الكتاب ذاته أنه ليس من عمل صاحبه بل ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[3] ذلكم

---

(١) كتاب دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين تأليف الشيخ محمد الغزالى الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٥هـ - سنة ١٩٧٥م .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة التكوير : ١٩ - ٢١ .

هو جبريل عليه السلام تلقاه من لدن حكيم عليم ثم نزّله بلسان عربى مبين على قلب محمد ﷺ فتلقنه منه كما يتلقن التلميذ عن أستاذه نصًّا من النصوص ولم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا :

١ - الحكاية والتبليغ .

٢ - البيان والتفسير .

٣ - التطبيق والتنفيذ .

أما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل ، وليس له من أمرهما شيء ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[١] هكذا سماه القرآن حيث يقول : ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّى﴾[٢] ويقول : ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحى إِلَيَّ﴾[٣] .

أما بشأن الإيحاء اللفظى فيقول : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[٤] ، ويقول : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾[٥] وقوله : ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٦] وقوله :

---

(١) سورة النجم : ٤ .
(٢) سورة الأعراف : ٢٠٣ .
(٣) سورة يونس : ١٥ .
(٤) سورة يوسف : ٢ .
(٥) سورة الأعلى : ٦ .
(٦) سورة القيامة : ١٦ – ١٩ .

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1] وقوله : ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[2] وقوله : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[3] ففى هذه الآيات عبر بالقراءة والإقراء والتلاوة والترتيل ، وتحريك اللسان وكون الكلام عربيًّا وكل أولئك من عوارض الألفاظ لا المعانى البحتة .

وبناء على ما سبق فإن القرآن صريح فى أنه (لاصنعة فيه لمحمد ﷺ ولالأحد من الخلق ، وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه)[4] ، ثم يستطرد الدكتور محمد عبد الله دراز فيقول : وفى الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضيًا يقضى بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التى جاءت بلسان صاحبها على نفسه ولم يطلب وراءها شهادة شاهد آخر من العقل أو النقل ذلك أنها ليست من جنس الدعاوى فتحتاج إلى بينة ، وإنما هى من نوع الإقرار الذى يؤخذ به صاحبه ، والقول بأن نبى الإسلام أراد بما قام به الوصول إلى غاية إصلاحية فيعبر إليها على قنطرة من الكذب والتمويه فإن ذلك مما يأباه علينا الواقع التاريخى كل الإباء ، فإن من تتبع سيرته الشريفة فى حركاته وسكناته وعباراته وإشاراته ، فى رضاه وغضبه ، فى خلوته وجلوته لا يشك فى أنه كان أبعد الناس عن المداجاه والمواراه وأن سره وعلانيته كانا سواء فى دقة الهدف وصرامة الحق فى جليل الشئون وحقيرها ، وأن ذلك كان أخص شمائله وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها ،

---

(١) سورة العلق : ١ .

(٢) سورة الكهف : ٢٧ .

(٣) سورة المزمل : ٤ .

(٤) كتاب النبأ العظيم تأليف المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز طبعة سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

كما شهد ويشهد به أصدقاؤه وأعداؤه إلى يومنا هذا ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[1] ولقد كانت تنزل به نوازل من شأنها أن تحفزه إلى القول ، وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالاً ومجالاً ، ولكنه كانت تمضى الليالى والأيام تتبعها الليالى والأيام ، ولا يجد فى شأنها قرآنًا يقرؤه على الناس ومثاله ما أرجف به المنافقون بحديث الإفك عن زوجه الطاهرة عائشة رضى الله عنها وأبطأ الوحى ، وطال الأمر والناس يخوضون حتى بلغت القلوب الحناجر ، وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس « إنى لا أعلم عنها إلاَّ خيرًا » ، ثم مضى شهر بأكمله لم يزد على أن قال لها آخر الأمر (يا عائشة أما إنه بلغنى كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله) هذا كلامه بوحى ضميره وهو كما نرى كلام البشر الذى لا يعلم الغيب .

على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل عليه صدر سورة النور معلنًا براءتها ومصدرا للحكم المبرم بشرفها وطهارتها ، فماذا كان يمنعه لو أن أمر القرآن إليه أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمى بها عرضه ، ويذب بها عن عرينه ، وينسبها إلى الوحى السماوى لتنقطع ألسنة المتخرصين ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله ، قال جل وعلا : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُم لَقَطَعْنَا مِنْه الْوَتِين ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[2] .

(١) سورة يونس : الآية : ١٦ .

(٢) سورة الحاقة : آية ٤٤ – ٤٧ .

وأخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه فيخطئه فى الرأى ، يراه فإذا تلبث فيه يسيرا تلاه القرآن بالتعنيف الشديد والعقاب القاسى والنقد المر حتى فى أقل الأشياء خطرًا ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُم حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَم الكَاذِبِينَ﴾[1] ﴿مَا كَانَ للنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[2] ، ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3] .

أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل؟ ألم يكن له فى السكوت عنها سترًا على نفسه واستبقاء لحرمة آرائه؟.

لو كان هذا القرآن يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئًا من ذلك الوجدان ، ولو كان كاتمًا شيئًا لكتم أمثال هذه الآيات ولكنه الوحى لا يستطيع كتمانه كما قال جل جلاله : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[4] .

ولو نظرنا فيما وقع العتاب عليه لوجدناه ينحصر فى شىء واحد وهو أنه عليه الصلاة والسلام إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثما اختار

(١) سورة التوبة : آية ٤٣ .
(٢) سورة التوبة : آية ١١٣ .
(٣) سورة التحريم : آية ١ .
(٤) سورة التكوير : آية ٢٤ .

أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه فلم يكن بين يديه نص فخالفه كفاحًا ، أو جاوزه خطأً ونسيانًا بل كان مجتهدًا بذل وسعه فى النظر ورأى نفسه مخيرًا فتخير ، على أن الذى أختاره كان هو خير ما يختاره ذو حكمة بشرية وإنما نبهه القرآن إلى ما هو أرجح فى ميزان الحكمة الإلهية[1] .

وبعد

فإذا لم تكن هذه هى حقيقة النبوة وسمات الرسالة إلى خاتم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليه فماذا تكون النبوة والرسالة إذًا ؟ .

إن القرآن الكريم رسول حى يسأله المرء فيجاوبه ، ويستمع إليه فيقنعه حتى فى عقيدة البعث والجزاء ونراه ينوه بشمول القدرة الربانية والإرادة العليا فى ثنايا أى إجابة على سؤال موجه ، وكيف صيغت المعانى فى أخذ ورَد واعتراض ودفع كأنها حوار سيال ، يتعدى أصحابه حتى يجمع الناس إلى آخر الدهر لا يختص به زمان دون زمان ولا مكان دون مكان ، فهو خطاب للعقل العام فى جميع البشر ولكن المستشرقين عمومًا ينقصهم حذق اللغة العربية وتفهم أساليبها البليغة ، وهذا ما جعلهم يفسرون نصوص القرآن والسنة على غير وجهها لعجزهم عن فهم معانيها الحقيقية فضلاً عن أغراضهم السيئة ضد الإسلام وشريعته .

فإذا كان بعضهم يهوديًا تعذر عليه التخلى عن نزعته اليهودية ، وما استطاع أن يزيل من وعيه أن الإسلام من وضع محمد (ﷺ) أو أنه كان تلميذًا للكتابيين[2] .

---

(١) كتاب النبأ العظيم – المرجع السابق .

(٢) كتاب صور استشراقية تأليف الدكتور عبد الجليل شلبى .

أما المستشرقون الغربيون فإنهم عمومًا لم يمارسوا دراساتهم لبحث ما فى الإسلام من حقائق ولكن زاولوها كلون من ألوان الفكر التاريخى ، وهم قد لقنوا من قبل مبادئ وأفكارًا خاصة عن الإسلام ، كلها أكاذيب ومختلقات إذ كانت سلاحًا من أسلحة الدعاية الحربية ضد الإسلام ، والذى كانت علاقته بالغرب متمثلاً فى الدولة البيزنطية علاقة حرب وعداء ، فيجهدون أنفسهم للبحث عن نقائص له وعيوب ويغضون عن كل ما له من مزايا وآثار طيبة ، حتى صار هذا الجانب جزءا لا ينفصل عن الثقافة الأوروبية ولا يستطيع أحد التخلص منه بسهولة ، يقول **جولدزيهر** (إن التقاليد الأوروبية الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ ، تجعل من الصعب علينا أن نلتزم الحياد فى بحث سيرة محمد (ﷺ) ، فتأثير المسيحية متغلغل فى كل جوانب مجتمعنا لدرجة لا تمكننا من الفصل بين حياته وبين رسالته الدينية ، وهجوم بعض النقاد على القرآن الذى هو دستور الحياة للمسلمين أقل بكثير من الهجوم على سيرة محمد ، ومقصدهم من ذلك إفهام الأوروبيين أن من تكون حياته على هذا النحو لا يمكن أن يكون جادًا فى دعوته للناس إلى دين صحيح)[1] .

ومع ذلك ورغم هذا الإنكار والجحود فإن الحق أبلج ، مهما تواطأ عليه أنصار الباطل فهذا هو الأستاذ إدوار لمبير وهو فرنسى وكان ناظرًا لمدرسة الحقوق الخديوية فى القاهرة سنة ١٩٠٦ يعلن على الملأ أن الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة ، وأنه ليس للقانون الرومانى أى أثر فيها .

كما قال الدكتور إيزيكو انسارياتو (إن الشريعة الإسلامية تفوق فى كثير من بحوثها الشرائع الأوربية بل هى التى تعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتًا) .

---

(١) المرجع السابق .

أما الدكتور (شيرل) عميد كلية الحقوق بجامعة فينا فقد أعلن فى مؤتمر الحقوقيين قوله : (إن البشرية لتفخر بانتساب رجل (كمحمد) إليها إذ أنه برغم أميته فقد استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتى بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى سنة)[1] .

قال جل وعلا : ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2] .

(١) كتاب آراء فلاسفة وعباقرة الغرب فى الإسلام ، تأليف الأستاذ زكريا هاشم زكريا ، طبعة الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٨ .

(٢) سورة التوبة : ٣٣ .

المعجزة القولية
للنبي محمد صلى الله عليه وسلم

اقتضت حكمة العلي القدير أن يكون أنبياؤه ورسله إلى البشر من أنفسهم وأن يمنحهم أرواحًا عاليةَ الطبقة عظيمة الصفاء رقيقة الشفافية كاملة الصلاحية للاتصال بالملأ الأعلى ، لتتلقى منهم وحي الرحمن جل وعلا قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1] .

ولم يجعلهم من الملائكة لأن البشر لا يستطيعون لقاءهم ولا يحتملون سماع الوحى منهم إن رأوهم على صورتهم الملكية ولكيلا يلتبس أمرهم عليهم ، إن رأوهم فى صورة البشر قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ، وَلَوْ جَعَلْنَاه مَلَكًا لَجَعَلْنَاه رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[2] .

إحاطة النبوة بسياج الحماية الربانية :

لم يترك الله تعالى أمر النبوة فى البشر سهل الادعاء والاختلاق ، فقد أحاطها بسياج يحميها من زيف المزيفين ، حيث جعل لها آيات تدل عليها فمن ادعاها ولم يكن له آية عليها كان كاذبًا ومدعيًا فاجرًا وشيطانًا ماكرًا .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٨

(٢) سورة الأنعام : ٨ – ٩

آية النبوة :

وآية النبوة معجزة يظهرها الله على يد مدعيها ، وقد عرف علماء الإسلام المعجزة بأنها أمر يظهره الله بخلاف العادة على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين ، على وجه يعجزهم عن الإتيان بمثله ، ويعتبر إجراؤها على يد مدعيها شهادة من الله على صدقه فيما يبلغ عنه ، لأنه سبحانه لا يؤيد كاذبًا .

معجزات النبى محمد ﷺ قولية وكونية :

جمع الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ بين الآيات القولية والآيات الكونية ، فأما الآيات القولية فهى القرآن الكريم ، وأما الآيات الكونية فهى ما وقع على يديه من المعجزات التى لم يتوفر مثلها لسواه من المرسلين ، وكانت معينة ومؤيدة ومطمئنة لقلوب المؤمنين ، ومنها ما اقتضاها جلب نفع للمسلمين أو دفع ضر عنهم ، وليست أساسية فى إثبات الرسالة المحمدية ، ولذلك لم يذكرها النبى ﷺ فى تحديه لمعارضيه ، بل اقتصر على التحدى بالإتيان بمثل القرآن أو بسورة منه[1]

لماذا التحدى كان بمعجزة القرآن الكريم ؟ :

ذلك لأن الإسلام هو الدين الخاتم الذى كتب الله له البقاء إلى قيام الساعة فاقتضت حكمته تعالى أن تكون معجزته مصاحبة له لكى تؤيده وتكون مصدر قوته على الدوام ، ولذلك كتب الله له الحفظ بقوله : ﴿ إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2] .

---

(١) الكتاب التذكارى للمؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية الشريفة صفر سنة ١٤٠٦هـ - نوفمبر سنة ١٩٨٥ بحث آيات النبوة المحمدية للشيخ مصطفى الطير .

(٢) سورة الحجر : ٩

أما الأديان السابقة فإنها كانت خاصة بأمم معينة وقابلة للنسخ بأديان تليها فلذلك كانت آياتها كونية لم تلبث أن زالت من الوجود وأصبحت خبرًا يروى وعرضة لتكذيب المكذبين .

معجزة القرآن الكريم :

فلقد كان للعرب أسلوبهم فى نظمهم ونثرهم ، وجاء القرآن الكريم بمنهج مخالف لكليهما عجب له بلغاؤهم ، ولما عجزوا عن مجاراته قالوا : إنه سحر مبين ، لما له من قوة التأثير على سامعه ، وجذبه لمشاعره وإدراكاته ، وكان أعتاهم فى الكفر حين يسمعه لا يسعه إلا اليقين بل الإقرار بأنه فوق مقدور البشر ، ولا يوجد كتاب سماوى أو من صنع البشر نال من العناية ما ناله القرآن الكريم تلقيًا وحفظًا وضبطًا ونقلاً وروايةً منذ نزل على قلب رسول الله ﷺ حتى اليوم ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهو كما أنزله الله تعالى من سور وكلمات وحروف لم تنقص منه كلمة ولا ضاع منه حرف فلقد أمر النبى ﷺ كتاب الوحى وغيرهم من كتاب المسلمين أن يكتبوه فورًا وحده دون سواه حتى حديثه النبوى وذلك حتى لا يختلط به غيره أو يشتبه به سواه ، ولم يسمح بكتابة السنة إلا فى أواخر حياته بعد أن إشتد الحذر عند المسلمين ، وعظم إدراكهم لنصوص القرآن الذى هو المصدر الأساسى لدينهم ، على أن يكتبوها بعيدة عنه .

إعجاز القرآن الذاتى ويتجلى ذلك فى أمور كثيرة :

أحدها : بلوغه أعلى درجة من البلاغة فى عباراته وقد أبلغ ابن أبى إصبع وجوه البلاغة فيه إلى نحو مائة وجه ، منها المجاز والاستعارة والكناية والتشبيه المفرد والمركب ، والإيجاز والإطناب والمساواة ، والإشارة والتوضيح والتورية والالتفات ، والانسجام والإدماج والافتنان ، والترقى

والتدلى والتضمين والجناس ، وحسن النسق واللف والنشر ، والمشاكلة والمزاوجة والمواربة وحسن الابتداء وحسن الاختتام وحسن التخلص إلى آخر ما جاء بهذه الوجوه .

ثانيها : إيقاعه وجرسه وقوة تأثيره على الأرواح والقلوب :

فبمجرد قراءته فإن جرسه وأداءه يشد إليه الأسماع ويجذب إليه القلوب حتى ولو كان سامعوه لا يعرفون اللغة العربية ، ولهذا وصفه أعداؤه بالسحر المبين حين سمعوه ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(١) .

ثالثها : براءته من الاختلاف والتفاوت :

فلا تجد فيه تضاربًا فى معارفه وعلومه – مع اتساعه وتعدد أهدافه وأغراضه قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختلافًا كثيرًا﴾(٢) .

رابعها : أنه أخبر بقصص الأنبياء مع أممهم فى دقة وأمانة وصدق ونزاهة :

وبرأ الأنبياء من المفتريات التى ألصقها بهم كتاب تلك الديانات السابقة فى كتبهم التى يقدسونها .

وكما كان القرآن أمينا فى الحديث عن قصص الأنبياء أظهر ما أخفاه أتباعهم من كتبهم من الأحكام والقصص .

ومعلوم تاريخيًّا أن نبى الإسلام كان أميًّا من أمة أمية فلا سبيل له إلى علم شىء من أخبار الماضين ، اللهم إلا عن طريق الوحى الأعلى قال تعالى :

---

(١) سورة سبأ : ٤٣

(٢) سورة النساء : ٨٢

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلو مِنْ قَبلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَتَخُطُّهُ بِيمينكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطلونَ، بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنا إلاَ الظَّالِمُونَ ﴾[1] .

خامسًا : إخباره بمغيبات مستقبلة صدقتها الأيام :

كقوله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ الرُّوم فى أَدْنَى الأَرضِ ، وَهم مِنْ بعْدِ غَلَبِهِم سَيَغْلِبُونَ فى بِضْعِ سِنِينَ ﴾[2] .

كان ذلك زمن بعثة الرسول ﷺ فظهرت الروم على فارس فى بضع سنين والبضع هو من الثلاث إلى التسع .

وتنبأ بفتح مصر وذلك فيما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحما»[3]

سادسها : إعجازه العلمى :

ومن ذلك إخباره عن أن أصل العالم غاز ساخن عبر عنه بالدخان وذلك فى قوله تعالى فى سورة فصلت : ﴿ ثمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِى دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْكَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾[4] .

سابعها : إعجازه الدينى :

فقد تضمن القرآن العظيم من آيات وحدانية الخالق وقوانين الشريعة ونواميس الأخلاق ما لم تصل إلى مثله البشرية من قبل ، فشرع العدل بين

---

(١) سورة العنكبوت : ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) سورة الروم : ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) سورة فصلت : ١١ .

الناس فى الحقوق والواجبات ، وأنصف المرأة وقرر لها حقوقها فى الحياة والميراث وإرادتها المستقلة حتى فى الزواج ، وأما مكارم الأخلاق التى دعا إليها القرآن فإنها المثل الأعلى فى مناهج الحياة ، وقد كان ﷺ قمة فيها ، ولذا قال جل وعلا مثنيا عليه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] .

وأمرنا أن نهتدى به فقال : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2] .

---

(١) سورة القلم : ٤ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

شريعة الإسلام
صلاحيتها للتطبيق على مر الزمان

الإسلام فى عقائده وتشريعاته يرجع فى أصله الجامع إلى القرآن الكريم ، الذى تلقاه النبى محمد ﷺ من ربه ، لذلك كان هو المصدر الأول فى تعرف التعاليم الأساسية للإسلام ومن القرآن عرف أن الإسلام له شعبتان أساسيتان هما العقيدة والشريعة .

فالعقيدة :

هى الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولاً وقبل كل شىء إيمانًا لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة ، وهى أول ما دعا إليه رسول الله ﷺ ، وطلب من الناس الإيمان به فى المرحلة الأولى من مراحل الدعوة إلى الإسلام .

وهى دعوة كل رسول جاء من قبل الله ، كما دل على ذلك القرآن فى حديثه عن الأنبياء والمرسلين قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدون﴾[1] .

والعقيدة هى الأصل الذى تبنى عليه الشريعة ومن ثم فلا وجود للشريعة فى الإسلام إلا بوجود العقيدة وعليه فمن آمن بالعقيدة ، وألغى الشريعة ،

(١) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

أو أخذ بالشريعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلمًا عند الله ولا سالكًا فى حكم الإسلام سبيل النجاة .[1] .

أما الشريعة :

فهى النظم والأحكام التى شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان المسلم بها نفسه فى علاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بغيره من بنى الإنسان وعلاقته بالكون وبالحياة وهى على كثرتها ترجع إلى ناحيتين رئيسيتين :

(أ) ناحية العمل الذى يتقرب به المسلمون إلى ربهم : ويستحضرون به عظمته ويكون عنوانًا على صدقهم فى الإيمان به ومراقبته ، والتوجه إليه ، وهذه الناحية هى المعروفة فى الإسلام باسم العبادات وهى الصلاة والصوم والزكاة والحج مع ضم الركن الأول من أركان الإسلام ، ولأهميته سمى ركن الأركان ، وهو الإقرار بوحدانية الله والشهادة برسالة النبى ﷺ .

والمقصود من هذه العبادات هو تطهير القلب وتزكية النفس ، ومراقبة الله تعالى التى تبعث على امتثال أوامره ، والمحافظة على شرائعه ، ولذلك كانت هى العمد التى بنى عليها الإسلام[2] وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان »[3] .

---

(١) كتاب الإسلام عقيدة وشريعة للمرحوم الشيخ محمود شلتوت – مطبعة الأزهر أكتوبر سنة ١٩٥٩ .

(٢) كتاب الإسلام عقيدة وشريعة المصدر السابق .

(٣) رواه الإمام أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى فى الكبير والدارقطنى فى السنن هكذا ورد فى موسوعة السنة جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للإمام جلال الدين السيوطى العدد السابع من الجزء الثانى من السنن القولية طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

(ب) وناحية العمل الذى يتخذه المسلمون سبيلاً لحفظ مصالحهم ، ودفع مضارهم فيما بينهم وبين أنفسهم وفيما بينهم وبين الناس على الوجه الذى يمنع المظالم وبه يسود الأمن والاطمئنان وهذه الناحية هى المعروفة فى الإسلام باسم المعاملات وتشمل ما يتعلق :

١ - بشئون الأسرة والميراث .

٢ - وما يتعلق بالأموال والمبادلات .

٣ - وما يتعلق بالعقوبات .

٤ - وما يتعلق بالجماعة الإسلامية وعلاقتها بغيرها .

مصدر شريعة الإسلام :

إذا كان مصدر العقيدة فى الإسلام ليس إلا مصدرًا واحدًا وهو القرآن الكريم الصريح الحاسم فى معناه ولا يحتمل سواه إلا أن مصدر الشريعة أوسع نطاقًا من ذلك فهى تؤخذ :

أولاً : من القرآن نصه ومحتمله .

ثانيا : ومن السنة النبوية وهى أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته التشريعية بشرط صحة نقلها عنه .

ثالثًا : كما تؤخذ عن طريق الرأى أى النظر فى محتمل القرآن والسنة المطهرة وفى إلحاق ما لم ينص على حكمه ، بما نص فى حكمه ، وفى تطبيقات القواعد الكلية المأخوذة من جزئيات التشريع القرآنى على القضايا المعروضة .. ومثال ذلك :

١ – قاعدة – الأصل فى الأشياء الإباحة .

٢ – قاعدة – حفظ مصالح العباد .
٣ – قاعدة – اليسر ورفع الحرج .
٤ – قاعدة – إزالة الضرر
٥ – قاعدة – سد الذرائع .
٦ – قاعدة – الضرورات تبيح المحظورات .
٧ – قاعدة – الضرورات تقدر بقدرها .
٨ – قاعدة – دفع الضرر مقدم على جلب المنافع .
٩ – قاعدة – ارتكاب أخف الضررين .
١٠ – قاعدة – الضرر لايزال بالضرر .
١١ – قاعدة – تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام .

وقد أخذت هذه القواعد فى شريعة الإسلام مكانة النصوص القطعية التى يرجع إليها المجتهدون ، وهم أهل العلم بالقرآن والسنة النبوية وبروح التشريع الإسلامى وقواعده العامة ويسمى بحثهم ونظرهم باسم الاجتهاد[1] .

ملاحظات على التفصيل والإجمال فى أحكام القرآن :

كان لبعض الأحكام التى جاء بها القرآن الكريم أن :

١ - فصلها فى نواح لابد فيها من التفصيل سموًا بها عن مواطن الخلاف والجدل كما فى العقائد والعبادات .

٢ - أو لأنه يريدها مستمرة على الوضع الذى حدده لابتنائها على أسباب لا تختلف ولا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة ومثاله :

(١) كتاب علم أصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى تأليف المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف طبعة عام ١٣٦١ هـ عام ١٩٤٢ م مطبعة النصر وكتاب الإسلام عقيدة وشريعة المصدر السابق .

(أ) الصوم فقد ذكره بحقيقته وزمانه ورخصه .
(ب) وكما فى الحج وأركانه .
(جـ) وكما فى تشريع المواريث مبينا نصيب كل وارث .
(د) وكذا محرمات النكاح .
(هـ) وعقوبة بعض الجرائم .

وفى غير هذين النوعين آثر الإجمال وترك التفصيل ليحكم فيه أهل الرأى فى دائرة ما بين لهم من مقاصد أو أشار من قواعد ومثال ذلك :

١ - ما عرضه لحل البيع فلم يذكر شيئًا من تفاصيل البيوع ولا ما يلحقها من خيارات ومالا يلحقها .

٢ - الاستيثاق فى الديون فلم يذكر تفصيلا ما يتعلق بموضوع الاستيثاق فى الديون من تفريعات جزئية وأحكام تفصيلية .

٣ - وعرض للقيام بالقسط والعدل فى الشهادة والقضاء ، ولم يذكر طريق الشهادة ولا كيفية القضاء ولا طريق رفع الدعوى .

٤ - وعرض لعقوبات بعض الجنايات ، كالسرقة والقتل الخطأ ولم يذكر مقدار المسروق ولا مقدار الدية[1] .

من ضرورات الخلود فى شريعة الإسلام :

لقد كان هذا الوضع وهو تفصيل مالا يتغير وإجمال ما يتغير من ضرورة خلود شريعة الإسلام ودوامها ، فليس من المعقول أن تعرض شريعة جاءت على أساس من الخلود والبقاء والعموم تفصيل أحكام الجزئيات التى تقع

(١) كتاب الإسلام عقيدة وشريعة المصدر السابق .

فى حاضرها ومستقبلها ، فإنها مع كثرتها الناشئة من كثرة التعامل وألوانه متجددة بتجدد الزمن وصور الحياة ، فلا مناص إذًا من هذا الإجمال والاكتفاء بالقواعد العامة والمقاصد التى تنشدها للعالم ، وبإزاء هذا حثت على الاجتهاد واستنباط الأحكام الجزئية التى تعرض حوادثها من قواعدها الكلية ومقاصدها العامة .

منزلة أهل الاجتهاد :

وقد جعل القرآن لأهل الذكر والاستنباط منزلة سامية وأمر الناس بالرجوع إليهم فيما يحتاجون إليه فقال تعالى : ﴿ولوردُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطونَهُ مِنْهُمْ﴾[1] وقال جل وعلا : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُونَ﴾[2] .

وبهذه الآيات ونحوها حث القرآن على الاجتهاد فى تعرف الأحكام وسؤال أهل العلم والمعرفة وقد مهد النبى وأصحابه من بعده طريق الاستنباط لمن جاء بعدهم من أئمة المسلمين وعلمائهم ، وبذلك اتضح مقدار سعة شريعة الإسلام وتناولها لكل ما يجد فى الحياة ، وأنها بحق صالحة لتنظيم جميع شئون بنى الإنسان اجتماعية أو فردية إلى يوم الدين[3] .

شريعة الإسلام فى نظر الدارسين فى القانون المقارن :

إنّ أصحاب الرأى الحر من دارسى القانون الوضعى مقارنًا بالقانون السماوى من رجال الفقه والقضاء الأجلاء وهم أهل الاختصاص فى هذا

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٢) جزء من الآية ٤٣ من سورة النحل .

(٣) كتاب الإسلام عقيدة وشريعة وكتاب علم أصول الفقه المصدر السابق .

المجال ، قد أثبتوا فضل التشريع الإسلامى فى مؤلفات رئيسية شرحت بكليات الحقوق بالجامعات المدنية من أمثال الأساتذة : عبد السلام ذهنى ، ومحمد كامل مرسى ، ومحمد عبدالله العربى ، وعلى بدوى ، وعبد الرزاق السنهورى ، ولكنا نتجاوزهم إلى تسجيل رأى رجل قانونى بارز كان من أعلام القانون العربى ورئيس وزارة جهير فى سوريا ، وأحد أساتذة القانون فى جامعة دمشق ، وهو يدين بالمسيحية الكاثوليكية درس التشريع الإسلامى دراسة منصفه وألقى عنه عدة محاضرات بالجامعة السورية ، ونشر عنه بحوثًا ضافية فى أرقى المجلات العلمية ذلك هو **الأستاذ فارس الخورى** ، وقد نشرت مجلة الرسالة فقرات منه جاء فيها قوله :

(إن محمدًا أودع شريعته[1] المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية ، واجتماعية ، وتشريعية ، ولم يستطع المنصفون من علماء القانون إلا الاعتراف بها ، وبأنها متفقة مع العلم مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية ، واليوم شاسع بين شريعتى موسى ومحمد عليهما السلام .

فالأولى – تأمر بالتقتيل بلا إنذار ولا عهد ولا صلح ولا دعوة لإيمان ، ولا يقبل اليهود من أعدائهم إيمانًا ، ولا يسمح لهم بالرحيل والجلاء خوفًا من تجمعهم فيمابعد[2] .

أما دعوة الإسلام – فتدعوهم للإسلام فإن قبلوا عصموا دماءهم وأعراضهم وأموالهم وإن أبوا فالجزية ، وإن أبوا فالقتال .

---

(١) تعبير خطأ من ذلك القانونى المسيحى الكاثوليكى فالشريعة هى شريعة الإسلام وهى ليست من وضع محمد ﷺ بل هى النظم والأحكام التى شرعها الله أو شرع جل وعلا أصولها كما قدمنا .

(٢) لاشك أن ذلك نتيجة ما أصابها من تحريف وتغيير إذ لا يستقيم عقلا أن الله رب العالمين يأمر بهذا الكلام .

أما المقايسة بين الشرع الإسلامى والشرع الرومانى فلا نراها تستقيم لاختلاف الهدف والسنة بين الشرعين فالشرع الإسلامى قائم على قواعد العدل المطلق ومقتضيات العقول .

والشرع الرومانى قائم على المصالح والمنافع الدنيوية ، ويبنى على هذا التخالف أن الأساس فى الشرع الإسلامى مصلحة الفرد فى الدنيا والآخرة ، وفى الشرع الرومانى فى مصلحة الجماعة فقط .

وهذه المبادئ ظاهرة آثارها فى كل صفحة من صفحات هذين الشرعين تفرق بينهما تفريقًا يتعاصى على المزج والتوحيد ، حتى أن الحكيم يكاد يستنبط استنباطًا للحكم بالمسائل المعروضة فى كل من الشرعين إذا اعتبر بهذه القواعد ، ورجع إليها ، وفى الأغلب يكون ظنه يقينا مثال ذلك ، مرور الزمان إما أن يسقط الحق وإما أن يسقط الدعوى ، فالشرع الإسلامى لا يمكن أن يقول بسقوط الحق ، لأن الحق يبقى فى الذمة ، والفرد لا تبرأ ذمته إلا بالوفاء أو الإبراء ، مهما تطاول الزمن ، فلم يكتف الشارع الإسلامى بتأمين مصلحة الدنيا بل استهدف مصلحة الآخرة أيضًا ، فى حين أن الشارع الرومانى اتخذ الجانب الآخر حين قال : إن الحق المتروك يسقط ولا يعود ولم يكترث بأثقال الذمة وعقوبة الآخرة ، لذلك نرى أن ليس من السلامة القول : بأن أحد هذين الشرعين مأخوذ من الآخر وإذا طالعت أقوال الفقهاء فى الأمتين فى إحدى المسائل نجد كل فئة تعلل اجتهادها بطريقتها الخاصة مراعية مبادئها هى ..

ثم قال الأستاذ فارس الخورى :

من أين لأمير من أمراء القرون الوسطى غير مأخوذ بالعاطفة الدينية وغير حريص على سلامة آخرته أن يجعل رائده تقوى الله فى حروبه وغزواته ويحرص على كل ما ينيله ثواب الخلود ، والمرتبة العالية فى الجنة ، بالتزام

العدل والرحمة والبعد عما يشوب طهارة النفس وفضائل الأخلاق ، وذلك ما نراه شائعًا بين أمراء المسلمين وقوادهم والأمثلة كثيرة منها ، خطابات عمر بن الخطاب لقادته فى ميادين الحروب داعيًا إلى الوفاء والرفق واحترام العهود وعدم التعرض للشيوخ والنساء والأطفال ، وتنحية العسكر عن القرى الآمنة كيلا تصاب بسوء .

ويعجب الدارس من فكرة العدل الراسخة فى نفوس القادة من العرب (يريد المسلمين) .

وحرصهم على النهج القويم فى أفعالهم وصلاتهم مع محاربيهم ومعاهديهم ومن ذلك الأصول التى وضعت للنبذ عند جوازه ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ ونص الآية: ﴿وإمَّا تخافَنَّ من قَوْمٍ خِيانَةً فانبذْ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾[1]. فإذا فسخوا الصلح وأصبحوا فى حالة حرب فهم لا يناجزون خصومهم إلا بعد إعلامهم بالفسخ ، ومضى الوقت الكافى كى يخبر العدو رعاياه فى أطراف البلاد وعند تخوم المسلمين ، فإذا هاجمهم هؤلاء لا يكونون مأخوذين على غرة وغفله ، وهذه درجة من الإنصاف قصر عنها أهل زماننا مع ما عندهم من حقوق الدول وقواعد الحرب ، فإن دول العصر الحاضر تبدأ بالهجوم وسائر أعمال الاعتداء حالما تعلن الحرب دون أن تكون مجبرة على الانتظار بعد الإعلان حتى أن بعضها تهاجم قبل إعلان الحرب رسميًا .

ومن هذا القبيل فى التشريع الإسلامى قاعدة عدم أخذ العامة بجرائر الخاصة وهذا مستند للآية الكريمة : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[2]

(١) الآية ٥٨ من سورة الأنفال .

(٢) سورة الإسراء ، جزء من الآية ١٥ .

فنهى الشرع الإسلامى عن تحميل المغارم لأهل القرى بالجملة لجرائم يقترفها أفراد منهم مع أن الحكومات المعاصرة تأخذ الطائعين بجريرة العاصين ، وأمامنا حوادث التقتيل والتهجير فى أوروبا بالقرن العشرين تنبىء عن أخذ البرىء بجرم المذنب .

كما شرع الإسلام أن خروج الشراذم من المعاهدين واعتدائهم لا يُعد نقضًا للعهد ولا بوجب الغرم على الدولة المعاهدة بصورة عامة ، وهذا مبلغ من الإنصاف جدير بالاحترام فى أرقى العصور ، ومازالت الدول الآن غير خاضعة لهذه القاعدة ولا عاملة بها فقد حملت إيطاليا الغرم دولة اليونان بسبب اعتداء بعض اليونانيين على البعثة الإيطالية فى اليابان ، وفرضت عليها غرامة خمسين مليون فرنك مع أشياء أخرى ، واحتلت جزيرة كورفو ضمانًا لإنفاذ هذه المطالب ، وكذلك فعلت إنجلترا مع الحكومة المصرية فى مقتل السرلى ستاك فأخذتها بجريرة بعض الشبان .

وفى ختام الحديث أشار الأستاذ فارس الخورى إلى اعتداء الدول الأوروبية على المسالمين من الأطفال والشيوخ والنساء وتحريم الإسلام ذلك[1] .

وبعد :

فإن شريعة الإسلام منذ شرع الله أصولها عند نزول القرآن من السماء على قلب نبى هذه الأمة صلى الله عليه وسلم ، عاش الفقه المستنبط ، منها

(١) كتاب فى ميزان الإسلام الجزء الأول تأليف الدكتور محمد رجب البيومى تنشره المؤسسة العربية الحديثة .

بجميع أحكامه قرونًا متطاولة متتابعة متلاحقة ، الأمر الذى لم يظفر به ولا بما يقرب منه أى تشريع فى العالم لا فى القديم ولا فى الحديث ولقد طوف الفقه الإسلامى فى الآفاق شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا وصعد الهضاب والجبال ونزل السهول والوديان ، ولاقى مختلف التقاليد والعادات ، وتقلب فى جميع البيئات وعاصر الرخاء والشدة والسيادة والاستعباد والحضارة والتخلف ، وواجه الأحداث فى جمع هذه الأطوار ، فكانت له ثروة فقهية ضخمة لا مثيل لها وفيه يجد كل بلد أيسر الحلول لمشاكله .

وقد حكمت الشريعة الإسلامية بفقهها فى أزهى العصور فما قصرت عن الحاجة وما قعدت عن الوفاء بأى مطلب ولا تخلفت بأهلها فى أى حين فلم إذًا يُخشى من تطبيقها فى مجتمعات المسلمين اليوم ؟

الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم في نظر المنصفين من علماء الغرب

رغم الحملة الشعواء الضالة على الإسلام ونبيه في بلاد الغرب – هذه الحملة التي تهزأ بالحق والضمير ولا يقرها شرع ولا دين – فإنا نرى كثيرًا من علمائهم وكتابهم أحبوا الإسلام وناصروه ، وهم – وإن كانوا أصنافًا شتى من المفكرين ، لكنهم لم يؤمنوا إيمان العجائز ولم يتابعوا متابعة العاجزين ، ولم يقعوا فريسة للتغرير والتضليل أو الإكراه بل فكروا وتدبروا ودرسوا الإسلام دراسة واعية خصوصًا في منابعه الصافية وهي القرآن الكريم وتفاسيره المعتمدة ، والسنة النبوية المطهرة فوجدوا فيه الدواء والشفاء والغذاء والضياء فلجئوا إلى رحابه مطمئنين وإلى ساحته مذعنين .

ذلك أن إشراق الإسلام على الأرض كان قوة من قوى الخير لها في (عالم المعاني) ما لاكتشاف . البخار والكهرباء في (عالم المادة) إذ هو قائم على معرفة الحقيقة وكراهية الباطل ، ورسالة نبيه ﷺ إلى الناس تمثل مرحلة من مراحل التطور في الوجود الإنساني ، فهي دعوة كبرى للتحرر العقلي والمادي من طواغيت البشر وتفتيح للأعين والآذان وتجلية للبصائر والأذهان قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[1] .

(١) سورة النساء : ١٧٤ .

وهؤلاء المفكرون ينقسمون إلى فريقين :

١ - فريق أعلن إسلامه فى غير لبس ولامراء وجابه الرأى العام فى بيئته بعقيدته الجديدة ثم أخذ يدعو إليها مكرسا وقته وجهده لنشرها خصوصا بكتاباته .

٢ - وفريق آخر أحب الإسلام ومدحه ولا يعلم إلا الله ماذا أسر فى نفسه ، وعن ذلك النفر يقول أحد المفكرين الغربيين[١] .

(إننى أعتقد أن هناك آلافًا من الرجال والنساء أيضًا مسلمون قلبيًا ، ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشىء عن التغيير تآمرا على منعهم من إظهار معتقداتهم) .

وينعى المستر « جون ويستر » الإنجليزى على بنى جنسه موقفهم من الإسلام فيقول :

« يظهر أن الغرب قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الإسلام ، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة كلما تحدث عنها » .

أما السير أرشيلد هاملتون » – الذى تسمى باسم عبد الله أرشيلد بعد إسلامه – فيقول .

« لا يوجد دين أسىء فهمه وكثر الهجوم عليه من الجهلة والمتعصبين مثلما أسىء فهم الإسلام وهوجم مع أننا نجد الإسلام هو المرشد للإنسانية إلى الحق والصواب فى حياتها اليومية المعاصرة »[٢] .

---

(١) هو اللورد هيدلى وقد ذكر ذلك عنه فى كتاب « أوروبا والإسلام » للمرحوم الدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) كتاب فى الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين » لكاتب هذا المقال .

الكونت هنرى دى كاسترى :

كان من كبار الموظفين الفرنسيين بالجزائر وقت احتلال فرنسا لها ، وقبل استقلالها ، يقول – عن قصة تفكيره فى دراسة الإسلام :

إنه وقت أن كان يسير ممتطيًا صهوة جواده ، ويسير خلفه ثلاثون من فرسان عرب الجزائر الأقوياء فخورا بمركزه يملؤه الغرور ، وفجأة وجدهم يقولون له – فى شىء من الخشونة ، فى كثير من الاعتداد بالنفس : لقد حان موعد صلاة العصر ، ودون أن يستأذنوه فى الوقوف ترجلوا واصطفوا للصلاة متجهين إلى القبلة (قبلة الإسلام) ودوت فى أرجاء الصحراء كلمة الإسلام الخالدة (الله أكبر) فثاب إلى نفسه ونظر إلى هؤلاء الفرسان المسلمين بكثير من الإكبار والإعجاب ، لأنهم اتجهوا إلى الله وحده بكل كيانهم دون أن يبالوا به ، وعندئذ بدأ فى دراسة الإسلام ، وتغيرت فكرته الموروثة عنه فرأى من واجبه أن يعلن عما اهتدى إليه فى كتابه الذى أصدره باسم (الإسلام خواطر وسوانح) وفيه يشرح خواطره التى نجتزئ منها بالآتى[1] .

أولاً – فكرة التوحيد :

يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبى محمد ﷺ من مطالعة التوراة والإنجيل إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث ، وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقته ، فظهور اعتقاده بالتوحيد دفعة واحدة هو أعظم مظهر فى حياته وهو بذاته أكبر دليل على حقيقة رسالته وأمانته فى نبوته .

---

(١) المرجع السابق .

ثانيا – عن صدق الرسول وسمو رسالته يقول :

لقد دأب كثير من أعداء الإسلام ومن رجال الاستعمار يشككون فيهما ، ورغم الوضوح الظاهر فى صدقه ، وفى سمو الرسالة الإسلامية فإن هؤلاء الأعداء لا يزالون يبدءون ويعيدون فى ترداد التشكيك فيهما مع أن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى ، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظًا ومعنى ، آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار فى جمالها ، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها ، وفاضت عين نجاشى الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبى طالب بعض الآيات من سورة مريم .

ثالثًا – عن الوحى النازل على نبى الإسلام يقول :

أما هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه فظنوا أن تلك الفترات التى يغيب فيها الرسول عن هذا العالم ، ليكون بكليته مستغرقًا فى الملأ الأعلى ، إنما هى فترات مرضية أو هى الصرع ، ورغم تكذيب الطب لمزاعمهم مستندًا إلى الاختلاف الكلى بين أعراض الصرع وأعراض الوحى فقد أعماهم التعصب عن رؤية الحقيقة ، فقد كانت انفعالات الوحى تظهر على وجهه بادية ، فظن بعضهم أن به جنة ، وهو رأى باطل لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ، ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اعتلال فى الجسم أو اضطراب فى القوة المادية ، وليس من الناس من عرفت عنه أحواله فى حياته كلها مثل نبى الإسلام ، فلقد وصل المحدثون عنه إلى أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض فى لحيته ، ولو كان مريضًا لما خفى مرضه على أحد .

لقد كانت حالته فى انفعالاته وتأثراته مثل تلك التى قال عنها نبى بنى إسرائيل فى وصفها (لقد شعرت بأن قلبى انكسر بين أضلعى وارتعشت

حتى الفطام فصرت كالنشوان لما قام بى من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة) .

رابعا – عن وفاة الرسول ﷺ يقول :

ذكر الرسول الفقراء ساعة احتضاره لأنه لم يرغب طول حياته فى المال ، بل كلما جمع إليه شيء منه أنفقه فى الصدقات حتى إذا كان آخر يوم له فى الحياة الدنيا قصد إلى المسجد وخطب الناس فحمد الله ثم قال (أيها الذين تسمعون قولى إن كنت ضربت أحدكم على ظهره فدونه ظهرى فليضربه وإن كنت أسأت سمعة أحد فلينتقم من سمعتى ، وإن كنت سلبت أحدًا ماله فإليه مالى يقتص منه وهو فى حل من غضبى فإن الغل بعيد عن قلبى) .

ثم نزل عن المنبر وصلى بجماعة المسلمين ، ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من إزاره وطلب منه ثلاثة دراهم دينًا له فأداها على الفور قائلاً « لخزى الدنيا أهون من خزى الآخرة » ثم دعا لمن حارب معه فى أحد وسأل الله لهم الرحمة والمغفرة ، ثم أوصله الصحابة إلى بيته حيث اشتد عليه المرض ومعالجة سكرات الموت حتى توفى[1] .

القس ميشون :

يقول هذا القس : إن من كان يدخل فى الإسلام من الأمم التى فتحها المسلمون ، ورفرف عليها علم الملة المحمدية[2] إنما يدخله بعد أن عرف مزايا هذا الدين واتسامه بالصدق والبراهين المنطقية ، واتفاقه مع العقل وعدم رضاه عن التقليد الأعمى وإلحاحه الدائم على النظر فى آيات الكون ، فهو كالبضاعة الجيدة يعرضها التاجر أمام المشترين واثقًا من أنها ترضى

(١) كتاب أوروبا والإسلام للمرحوم الدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) يقصد الملة الإسلامية .

أصحاب الأذواق الجيدة منهم ، وليس مثل سواه من الأديان التى يقول أصحابها إنها فوق مدارك العقول ، لأن الله الحكيم لا يكلف عباده إلا بما يعقلون ولا يكلفهم بمالا يعقلون .

إن المسلمين كانوا بعد فتحهم للبلاد يتركون الناس أحرارًا فى معتقداتهم بعد أن يبلغوهم دين ربهم عملا بقوله تعالى : ﴿ لاَإِكْرَاهَ فى الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَىِّ ﴾[1] .

وعندما كانوا يعرضون عليهم الإسلام يمتثلون قول ربهم : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالتِى هِى أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[2] .

فإن لم تجد معهم الدعوة بالحسنى تركوا لمصيرهم وترك أمرهم إلى خالقهم عملاً بقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِى الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾[3] .

ولم يسلك المسلمون الفاتحون سبيل الإكراه لثقتهم أن الإسلام ينساق إلى النفوس ويمرق إلى القلوب لما فيه من أسباب الهدى والاطمئنان ، ولا أدل على ذلك من بقاء اليهودية والنصرانية فى بلادهم وحرية أهلها فى معابدهم وعباداتهم وأملاكهم وأرزاقهم ، وذلك أمر مشاهد ملموس حتى اليوم[4] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

(٣) سورة يونس : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٤) كتاب « نافذة على الإيمان » تأليف فضيلة الشيخ مصطفى الحديدى الطير من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

ول ديورانت :

صاحب كتاب (قصة الحضارة) الموسوعة التاريخية الضخمة ، أشاد بفضل النبى محمد ﷺ ، وأنه باعث الحضارة الإسلامية فيقول : (إذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس قلنا : إن محمدًا كان من أعظم عظماء التاريخ ، فلقد رفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب ألقت به فى دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحًا لا يدانيه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله .

كانت بلاد العرب حين بدأ الدعوة صحراء جدباء تسكنها قبائل من عبدة الأوثان ، قليل عديدها متفرقة كلمتها ، وتركها عند وفاته أمة موحدة متماسكة ، كبح فيهم جماح التعصب والخرافات ، وأقام فوق اليهودية والمسيحية والوثنية دين بلاده القديم دينًا سهلاً واضحًا قويًا ، وصرحًا خلقيًا قوامه البسالة والعزة القومية ، واستطاع فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة ، وفى قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة ، وأن يبقى إلى يومنا هذا أمة ذات قوة وشأن عظيم فى نصف العالم .

أما عن حياة هذا النبى ﷺ فكانت غاية فى البساطة فمساكنه كلها كانت من اللبن ، وسقفها من جريد النخل ، وطعامه الأساسى التمر وخبز الشعير ، وكان اللبن وعسل النحل كل ما يستمتع به من الترف فى بعض الأحيان .

وعن معاملته يقول : كان النبى لطيفًا مع العظماء ، بشوشًا فى أوجه الضعفاء ، عظيمًا مهيبًا أمام المتعاظمين والمتكبرين ، متسامحًا مع أعدائه ، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان وكان يرفض أن يوجه إليه شىء من التعظيم

الخاص ، ولم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال رغم ما كان يرد إليه من الفيء وغيره من الموارد ، أما ما كان ينفقه على نفسه كان أقل من القليل ، وكان يخص الصدقات بالجزاء الأكبر من هذا المال ، ومع ذلك كان مرهف الحس إلى أقصى حد لا يطيق الروائح الكريهة ولا الأصوات العالية[1] عملاً بما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[2] .

السير توماس أرنولد :

ألف ذلك العلامة كتابًا أسماه (الدعوة إلى الإسلام) فيه يسوق الأدلة والبراهين على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف كما زعم أعداؤه ومن هذه البراهين :

١ - إسلام بعض قواد الصليبيين قبل موقعة حطين ، أي قبل انكسار شوكتهم في هذه المعركة بل كان وهم في أوج قوتهم مما يدل على أنهم أسلموا عن طريق الاقتناع الذي هو الطريق إلى الإسلام دائمًا .

٢ - إسلام المغول في وقت كانوا فيه المتغلبون على العرب بل وعلى غير العرب .

٣ - انتشار الإسلام في الملايو وأندونيسيا والفلبين دون أن تطأ هذه البلاد قدم جندي عربي واحد ، ولكن عن طريق التجار وغيرهم وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأي سيف كان يجبر هؤلاء الصليبيين العتاة وهؤلاء المغول الجبابرة على الإسلام ؟ .

---

(١) كتاب « محمد الإنسان والرسول » إعداد محمد عبد العزيز .

(٢) سورة لقمان : ١٩ .

ولكن كل ما نقوله: إن الذى جعلهم يسلمون هو سماحة الإسلام وعظمته، هذا بجانب أن الله سبحانه وتعالى ينهى عن استعمال الشدة فى نشر الدين تطبيقًا لقوله تعالى ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ﴾[1] .

كما يقول سبحانه : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[2] .

أما استخدام السيف فلا مجال له فى نشر الدين اللهم إلا فى حالة الدفاع عنه فهذا أمر واجب يقره العقل قبل الدين[3] .

جوستاف لوبون :

يقول هذا المفكر : إن للإسلام وحدهَ الفخار بأنه أول دين قال بالتوحيد المحض الخالص، وبأنه أول دين نشر أتباعه ذلك التوحيد فى أنحاء العالم، فالإله الواحد المطلق الذى دعا إليه الإسلام منزه عن شريك له، وتشتق سهولة الإسلام من التوحيد المحض، وفى التوحيد سر قوة الإسلام، وهو من أكثر الديانات ملاءمة لمناخ العالم واكتشافاته ومن أعظمها تهذيبًا للنفوس ودعوة إلى العدل وإلى التسامح، وفى الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب. والإسلام هو الذى أعطى المسلمين هذه الرحمة وهذا التسامح[4] .

وبعد :

فهل آن للبشرية أن تعرف طريقها الحق إلى المجتمع الأمثل ، وتؤمن بأن هذا المجتمع لا يوجد إلا فى إطار الإسلام وفى هدى نبيه محمد ﷺ ،

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

(٣) كتاب « الدعوة إلى الإسلام » للسير توماس أرنولد ترجمة إبراهيم حسن وآخرين .

(٤) كتاب « صفحات مضيئة من تراث الإسلام » تأليف الأستاذ أنور الجندى .

لقد عرفت البشرية المجتمع اليونانى ، والرومانى ، والفارسى والهندى ، وعرفت المجتمع الغربى الحديث الذى شكلته الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى والمسيحية الغربية ، والذى أنتج مناهج مختلقة ونظمًا ومبادئ متناقضة تخبط فيها العالم المعاصر حتى أفلست رغم حضارته المادية السامقة ، وذلك لخلوها من الروح الإنسانى والإيمان المطلق بعقيدة التوحيد .

كذلك عرفت البشرية العهد الإسلامى الزاهر الذى لم يسبق له مثيل ، ثم مضت فترة وبقى عليها الآن أن تعود إلى تجربة المنهج الإسلامى من جديد وهو المنهج القادر وحده على العطاء ، لأنه قائم فى أساسه على الإيمان بالله الواحد الأحد رب السموات والأرض ، ذلك الإيمان الذى يولد الرقة والرحمة والعدل والحرية فى كل الأمم والشعوب ولا يفرق بين طوائف البشر .

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1] .

(١) سورة الصف : ٩ .